

نماذج من كتابات حول الشيخ يوسف الأسير

(وفقاً للتسلسل الزمنيّ)

هو الشيخ يوسف بن السيّد عبد القادر الحسينيّ الأسير. وُلِدَ في مدينة صيدا من أعمال سوريا سنة ١٢٣٠ هـ، ورَبِيَ في حجر والده، وتلقّى مبادئ العلوم فَخَنَمَ القرآن وهو في السابعة من عمره. و كان أبوه تاجرًا فلم يَمَلْ هو إلى التجارة بل عكف على العلم [...].

وأقام في بيروت، وأخذ يبيّث العلم بين طلبتها، وأكبّ على التأليف والتصنيف، وكان اشتغاله غالبًا في الفقه واللغة، فألّف كتاباً في الفقه أسماه "رائض الفرائض"، وشرح كتاب "أطواق الذهب" تأليف الزمخشري، ونظم كثيرًا من القصائد الرنّانة، طُبِعَ منها جانب كبير في ديوان يُعرَف باسمه.

وكان على جانب عظيم من الرقّة والدّعة، ولين الجانب، وحُسن المعاشرة. يحبّ العلم والعلماء، ويأخذ بناصرتهم، وكان شافعيّ المذهب، سالكًا مسلك الأقدمين في حبّ العلم والرغبة في نشره ابتغاءً للفائدة العامة. وكان لحُسن عقيدته راعبًا عن الدنيا، زاهدًا فيها، ثابتًا في اتّباع فروض الدين، لا يستنكف من حمل حاجيات بيته الضروريّة بنفسه. وكان كثير الشغف بتلاوة القرآن الكريم أو سماعه كلّ يوم.

وكان رُبّع القامة، معتدل الجسم، أسمر اللون، أسود الشعر، كثّ اللحية، صادق الوعد، قويّ الذاكرة، إذا سُئِلَ أجاب في أيّ موضوع كان، مع تقريب الموضوع من ذهن السامع ببسيط العبارة.

تُوفِّي سنة ١٣٠٧ هـ وله من العمر سبع وسبعون سنة، ودُفِنَ في مقبرة الباشورة ببيروت، وترك خمسة ذكور وبنّتين، ولم يترك لهم شيئًا سوى الذكر الحَسَن، وقد أسفَ أهلُ بيروت وسائر أهل الشام على فقدّه لأنّ جماعة كبيرة منهم أخذوا العلم عنه، وما برج مرجعًا للفائدة علمًا وعملاً حتّى نُوفاه الله.

جرجي زيدان،

"سائر رجال العلم والأدب: الشيخ يوسف الأسير، وُلِدَ سنة ١٢٣٠ هـ و توفّي سنة ١٣٠٧ هـ"، في تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، مصر، مطبعة الهلال بالفجالة، ١٩١١، ص ١٨٥ - ١٨٧.

####

وتولّى رئاسة تحرير جريدتيّ "ثمرات الفنون" و"لسان الحال" مدّة من الزمان. وقد توفّاه الله في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٨٩ (١٣٠٧ هـ) مشكورًا بكلّ لسان لرقّة أخلاقه، وزهده في حطام الدنيا، وحبّه لنشر المعارف. ومن الذين درسوا عليه، في آخر حياته،

غريغوريوس الرابع البطريرك الأنطاكيّ للروم الارثوذكس، والدكتور مرتين هرتمان أستاذ اللغة العربيّة في مدرسة الألسن الشرقيّة في برلين. ورثاه كثير من الشعراء وأرباب الصحف، في الآستانة وسوريا ومصر، معدّدين فضائله. فاعتنى بجمعها الشيخ قاسم الكسّبي ونشرها بالطبع في كتاب مخصوص. ومن الترانيم النفيسة التي نظمها للمرسلين الأميركيين ترنيمة تتضمّن "وصايا الله العشر".

الفيكونت فيليب دي طرازي،

الشيخ يوسف الأسير أحد محرّري جريدة "لبنان" الرسميّة و"ثمرات الفنون" و"لسان الحال" في تاريخ الصحافة العربيّة، الجزء الأول، بيروت، المطبعة الأدبيّة، ١٩١٣، ص ١٣٨.

###

الشيخ ناصف اليازجي، من قصيدة نفيسة مدح بها صاحب الترجمة [الشيخ يوسف الأسير]، وقرّظ فيها الديوان المذكور [الرؤوض الأريض]، نقتطف منها هذه الأبيات:

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| أسيّرُ الحقّ في حُكْمٍ تساوى | فما يُدرى الحبيب من البغيض |
| يقلّبُ في المسائل كلَّ طَرْفٍ | ويلقى الناسَ بالطَّرْفِ الغضبيّ |
| إمامُ الشعرِ بيتدعُ القوافي | ويأمنُ دوهاً حَوَلَ القريض |
| يقلُّ لهُ الثناء ولو أخذنا | قوافيه من الروض الأريض |

الشيخ ناصف اليازجي،

نقلًا عن: الفيكونت فيليب دي طرازي، "الشيخ يوسف الأسير أحد محرّري جريدة "لبنان" و"ثمرات الفنون" و"لسان الحال" في تاريخ الصحافة العربيّة، الجزء الأول، بيروت، المطبعة الأدبيّة، ١٩١٣، ص ١٣٨.

###

الشيخ سليم الجارودي، من قصيدة تلاها بعد الصلاة عليه [الشيخ يوسف الأسير] في الجامع العمريّ الكبير:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| من الدنيا لقد سارَ الأسيّرُ | إلى الأخرى فيا نَعَمَ المسيرُ |
| إمامٌ كان للأفضالِ قطبًا | عليه مدارها أبدًا يدورُ |
| مصائبٌ هدَّ ركنَ العلمِ حزناً | عليه وأظلمَ الفلكُ الأثيرُ. |

الشيخ سليم الجارودي،

نقلًا عن: الفيكونت فيليب دي طرازي، "الشيخ يوسف الأسير أحد محرّري جريدة "لبنان" و"ثمرات الفنون" و"لسان الحال" في تاريخ الصحافة العربيّة، الجزء الأول، بيروت، المطبعة الأدبيّة، ١٩١٣، ص ١٣٨.

###

وُلِدَ يوسف الأسير (١٨١٥ - ١٨٨٩) في صيدا، ودرس في الأزهر. ثم عُيِّن قاضيًا في طرابلس، فمفتيًا في عكا، ونائبًا عامًا في لبنان في عهد داود باشا. وقد شغل مركز أستاذ للعبية في دار المعلمين في استنبول. ثم عاد إلى وطنه ودرّس في المدرسة البطريركية في بيروت، وفي الكلية السورية الإنجيلية. وبعد ذلك أصدر "ثمرات الفنون" أول جريدة يُصدرها مسلم (١٨٧٥). وكان، إلى جانب هذا كله، يعطي دروسًا خاصّة في الفقه الإسلامي. وقد شرح "المجلة" (بيروت، ١٩٠٤)، وعلّق عليها. وكان من بين الذين درسوا عليه نخبة صالحة من الحامين اللامعين.

فيليب حتّي،

"الطليعة في العلماء والأدباء" في لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر، ترجمة أنيس فريجة، مراجعة نقولا زياده، بيروت - نيويورك، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٩، ص ٥٦٣.

###

الشيخ [يوسف] الأسير رجل يُعدُّ في طليعة رجال النهضة الحديثة. فهو لغويّ متعمّق، حفظ تراث السلف وتعمّق فيه وإن لم يزد عليه، ونظم الشعر التقليديّ، وكان عالي الكعب في العلوم الفقهية يُرجع إليه في حلّ ما أشكل منها. وكان له انتقادات ومناظرات مع رجال عصره كالشيخ ناصيف اليازجي وسعيد الشرتوني، ولقد شدّ أزر الشدياق في مناظرته الشيخ إبراهيم اليازجي. كان الشيخ الأسير ذلك العصاميّ الذي رفض واقعه وتمرد عليه، فقصّد المدرسة المرادية في دمشق، والأزهر في مصر، وتعمّق في علوم زمانه، وتألّب في المناصب الحكوميّة، ولفت إليه أنظار رجال الدولة العثمانيّة. كما ربّى أجيالاً من رجال النهضة. وشارك في إحياء التراث القديم، وتليين مفاصل اللغة العربيّة. لكنّه لم يستطع التخلّص من ربة الماضي.

محسن الأحمر،

الشيخ يوسف الأسير، ١٨١٥ - ١٨٨٩ م / ١٢٣٠ هـ - ١٣٠٧ هـ، حياته ونتاجه، رسالة أعدت لنيل شهادة الكفاءة للتعليم الثانويّ في اللغة العربيّة وآدابها، إشراف الدكتور جيتور عبد النور، بيروت، الجامعة اللبنانيّة - كنيّة التربية، حزيران ١٩٧٠، ص ب.

###

وأخيرًا اختار الإقامة في بيروت "لجوذة هوائها". وتولّى فيها رئاسة كتابة محكمتها الشرعيّة. وتسايق إليه الطلبة والمريدون. وكان رقيقًا وديعًا لبيّن الجانب، واسع الصدر، بعيد النظر، فتقبّل الطلاب من النصارى والمسلمين على السواء. فخرج على التقاليد الموروثة، واندفع في تعليم النصارى علومًا عربيّة كانت تُعتبر خاصّة بالمسلمين. وعاون بذلك معاونة قيّمة في هذه النهضة التي نورّج. وتولّى الإفتاء في عكا. ثمّ دعاه متصرّف لبنان الأوّل داود باشا إلى بتدين فجعله مدعيًا عامًا في لبنان. وقام بعد ذلك إلى الآستانة ليتولّى رئاسة التصحيح في نظارة المعارف. فنال مقامًا رفيعًا. وعرضت الصدارة عليه منصبًا عاليًا براتب جزيل، فأبى

رغبة في مواصلة برنامجه العلميّ، ومحافظة على صحّته لأنّه لم يقوَ على برد عاصمة السلطنة. وعاد إلى بيروت يعلم ويؤلف حتّى وافته المنية في كانون الأوّل من السنة ١٨٨٩.

واشغل هذا الشيخ الفاضل في الفقه واللغة، فخلّف "رائض الفرائض"، وشرح "أطواق الذهب"، وجمع موشحاته وقصائده وأبياته الحكميّة في ديوان له أسماه "الروض الأريض".

أسد رستم،

"وأشباحنا" في لبنان في عهد المتصرفية، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٢، ص ٢٨٢-٢٨٣.

####

كان شيخنا خفيف الروح، يُستطرف مجلسه ويُستطرف. وكان شاعرًا كالأحدب وإن لم تكن له غزارة مادّته. شعره رائق فصيح، أكثره مدح حتّى يكاد يكون ربع ديوانه في مدح صديقه أحمد فارس. وللشيخ في النقد أشياء طريفة كتبها يوم دارت رحى المعركة الأدبيّة بين الشدياق واليازجي والبستاني، فحلّى الشيخ يوسف في ذلك المضمّار منتصرًا لحليفه الشدياق [...].

[...] ناهيك أنّ الشيخ يوسف الأسير شاعر مجيد، وفي ديوانه القصائد والموشّحات والمقطعات الحكميّة، وهاك شيئًا ممّا قاله في شعراء عصره:

| | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| خليليّ كم قد جدّد في الناس شاعرٌ | وليس له بيتٌ من الشعرِ عامرٌ |
| وأحسنُ شعريّ ما نراه مهذبًا | بليغًا به يلتدُّ بادٍ وحاضرٌ |
| به تطربُّ الأسماعُ من كلِّ منشدٍ | وتجريّ به الأمثالُ وهي سوائرٌ |

وللشيخ الأسير أبياتٌ في وصف لبنان ونهضته الحديثة، بعد مذابح سنة ١٨٦٠ التي عقبها ما كان يُعدّ استقلالًا في ذلك الزمان:

| | |
|--|------------------------------|
| نرى لبنانَ أهلاً للتهاني | فقد نالَ الأمانَ مع الأمانِي |
| وأضحى جنةً من حلّ فيه | قريّر العينِ مسرورَ الجنانِ |
| وُجدتْ للعلوم به دروسٌ | وكانت في الدروسِ وفي التواني |
| ولالأخبار قد وُجدتْ سلوكٌ ^١ | كذلك طبعُ ذي الصُحف الحسانِ |

وللشيخ أيضًا رسائل نثرية وشعرية، وتلك خطّة كان لا بدّ للأديب من ركوبها في ذلك الزمان.

^١ . يقصد الأسلاك التلغرافية، والجرائد.

مارون عبّود،

"الشيخان الأحذب والأسير" في رواد النهضة الحديثة، طبعة جديدة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٧، ص ١٠٣-١٠٤.

####

أحد رواد النهضة الأدبية الحديثة ومن رجال الرعيل الأول فيها. كاتب فصيح اللسان واسع الرواية، وأديب دقيق، أجاد الشعر والنثر، وفقه فُرْضِيّ ضليع، ومربّ خرّج أجيالاً من الأدباء في المعاهد التي تولّى التدريس فيها: كالمدرسة الأميركية في عبيه، والكلية العربية الإنجيلية في بيروت، ومدرسة الحكمة فيها.

كان ذكيّ الفؤاد، دقيق الانتقاد، ثقة في العلوم العربية والفقهية. له مراسلات شعرية نثرية مع أدباء عصره كالشيخ إبراهيم الأحذب، وأحمد فارس الشدياق، والشيخ ناصيف البازجي.

يوسف أسعد داغر،

مصادر الدراسة الأدبية، الجزء الثاني، الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، الراحلون (١٨٠٠ - ١٩٥٥)، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات الأدبية، ٧، ١٩٨٣، ص ١٢٦.

####

وُلد في صيدا سنة (١٨١٥) وبعد أن تلقى مبادئ العلوم في وطنه، وفي الأزهر في مصر، تعيّن قاضياً في طرابلس، فمفتياً في عكا، ونائباً عاماً في لبنان في عهد متصرفه داود باشا، وتولّى في الآستانه رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف، ثم عاد إلى وطنه فتنفّخ للتأليف في المواضيع الفقهية، ودرّس في المدرسة البطريركية وفي الكلية السورية الإنجيلية وفي مدرسة الحكمة. وكان ذكيّ الفؤاد، فصيح اللسان، يجيد نظم الشعر والنثر، من آثاره الأدبية "أطواق الذهب" للزنجشري، وأصدر جريدة "ثمرات الفنون"، وشرح "المجلّة" سنة ١٩٠٤، وكانت وفاته سنة ١٨٩٠. وله موشّحات وقصائد متفرقة جمّعها في ديوان "الروض الأريض".

فؤاد الخوري،

"الشيخ يوسف الأسير" في من مشارف المئة، لبنان: وجوه حضارية، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية - قسم الدراسات التاريخية، ٣٧، ١٩٨٧، ص ٢٨٩.

####

أمّا يوسف الأسير فكان، بخلاف ناصيف البازجي وبطرس البستاني، مسلماً سنّياً، متضلّعاً في الفقه وسائر العلوم الإسلامية. وُلد في صيدا، وتلقّى علومه في الأزهر، وعمل قاضياً في طرابلس مرّات عديدة، ثمّ مفتياً في صور، ثمّ مدّعياً عاماً للبنان في عهد داود باشا. واشتغل بتدريس العربية في الآستانة مدّة من الزمن، عاد بعدها إلى بيروت، حيث تابع التدريس في الكلية البطريركية،

والكلّيّة السوريّة الإنجيليّة. ولم يحتلّ يوسف الأسير المكانة التي احتلّها اليازجي والبستاني في حقل العلم والأدب، لكنّه أصبح، مع ذلك، اليد اليمنى لِقَانْدِيك في ترجمة الكتاب المقدّس بعد ١٨٥٧. وكان قَانْدِيك كثير الإعجاب بمعارف الأسير ومقدرته الأدبيّة. وكان الأسير أوّل مسلم في لبنان اقترن اسمه بحركة اليقظة الأدبيّة العربيّة التي تزعمها النصارى، والتي أثّرت مع الأيام في سواه من مسلمي البلاد. ومن مؤلّفاته منظومات شعريّة مختلفة، ودراسة في التشريع العثمانيّ صدرت بعد وفاته. وكان الأسير، كزميله البستاني، من روّاد الصحافة. فأنشأ صحيفة "ثمرة [ثمرات] الفنون" (١٨٧٥)، وهي أوّل صحيفة لبنانيّة أصدرها مسلم.

كمال الصليبي،

"اليقظة اللبنانيّة" في تاريخ لبنان الحديث، الطبعة السابعة، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٩١، ص ١٨٨-١٨٩.

####

العالم العلامة. والحرّ البحر الفهامة. مقدّمة الأفاضل المحقّقين وخاتمة الجهابذة المدقّقين. نابغة العصر وبتيمة الدهر. أعلم علماء زمانه على الإطلاق. والمجمّع على كمال فضله وأدبه بالانثقاق. حضرة الأستاذ المتفتّن الشهير والسيد الكامل التّحرير. المرحوم الشيخ يوسف الأسير طيّب الله ثراه وجعل الجنّة مأواه.

صفحة الوقاية لكتاب شرح رائص الفرائض للشيخ يوسف الأسير، بعبداء، المطبعة العثمانيّة، ١٣١٨هـ.

####